التصوف

للأستاذ عبد العزيز المصيلحى : شيخ الطريقة المصلحية الخلوتية

التصوف حقيقة ثابتة مضت القرون وأعلام المسلمين قائمون بها ، وقد يكون هذا الكلام معاداً أو مكرراً ، ولكن طغيان المادية فى هذا الزمان جعل فئات من الناس وحتى المثقفين منهم يطرحون الدين وراءهم ظهريا ، أقول طغيان المادية قد يسيغ إعادة القول كثيرا فى التصوف ، والتصوف موجود حتى فى الديانات القديمة فقد كان المتعبدون يلزمون أنفسهم أماكن خاصة يتعبدون فيها طلبا لتزكية نفوسهم وتطهير قلوبهم حتى تسمو إلى الملا الأعلى بل لا أجاوز الحق إن قلت إن نبى الإسلام إمام المتصوفين وهاديهم وقائدهم إلى ما فيه خيرهم وهداهم إلى المعرفة بربهم ، وكان من صحابته الأخيار من تصوف وانقطع للعبادة بعيدا عن شواغل الدنيا ، لا أعنى أن المتصوف يترك السعى وراء رزقه بالطرق المشروعة) فما هذا قصد الدين من العبادة ، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا »

إنما أقصد أن تكون العبادة خالصة لوجه الله مراعى فيها روح الدين وتعاليمه الصحيحه ، هكذا كان خيار الصحابة ،

وها هو الإمام أبو هريرة رضى الله عنه هو وزملاؤه من أهل الصفة قد انقطعوا للعبادة حتى نزل فى حقهم « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجه » هؤلاء ومن نحا نحوهم ونهج طريقهم هم المتصوفة الذين يجب الاقتداء بهم حتى تصفو النفوس من الأكدار التى طمستها ، وتتسامى عن الدنايا ، فيشع نور الإيمان بين الناس وتزول الاحقاد من نفوسهم ويرجعوا إلى دينهم الحق مؤدين ما أمروا به مجتنبين ما نهوا عنه بعيدين عما لا يقره الشرع أو يأتى به الدين. إذن فالتصوف عبادة حقه وإيمان صادق بل التصوف هو الدين الخالص ، أما ما يلصقه بالتصوف ذوو الأغراض مما لا يوافقهم عليه عاقل أو يقوم لهم عليه دليل فهو هراء من ول يبرأ منه التصوف والصوفيون ، فما التصوف إلا صفاء السر وطهارة السريرة باتباع ما جاء به الكتاب الكريم

والسنة الصحيحة فليس التصوف بدعا من القول أو زيفا من العمل، ومن تتبع أحوال الصوفية وأقوالهم يجد أنهم هم المؤمنون حقا الذين هداهم الله صراطه المستقيم، وبين لهم طريقه القويم، فنشروا آداب الدين بين تابعيهم ومريديهم في شتى أنحاء الدنيا من لدن الحسن البصري إلى وقتنا هذا، ولا تزال طائفة منهم قائمة على الحق لا يضرهم من عاداهم أو ناوأهم حتى يأتي أمر الله، فأجدر بهؤلاء الذين يزعمون أن التصوف تكاسل ودعة أن يرجعوا إلى ما كتبه المتصوفة، وماذاع عنهم في كل عصر أمثال الأئمة الغزالي والجنيد والشاذلي وابن عطاء الله وغيرهم ممن امتلأت بهم الدنيا نورا وهدى واهتدى بهم طوائف لا يحصيها العد، أجل يجب أن يتبينوا حقيقة التصوف وما يدعو إليه كما عليهم ألا يقفوا عند رسوم دست على التصوف وألصقت به وبأهله زورا وبهتانا،

« ليس التصوف لبس الصوف ترقعه
ولا بكاؤك إن غنى المغنونا »

« ولا صياح ولا رقص ولا طرب
ولا اهتزاز كأن قد صرت مجنونا »

« بل التصوف أن تصفو بلا كدر
وتتبع الحق والقرآن والدينا »

« وأن ترى خاشعا لله منكسرا
على ذنوبك طول الدهر محزونا »

وقد قيل:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا
جهلا وظنوه مشتقا من الصوف
« ولست أمنح هذا الاسم غير فتى
صافى فصوفي حتى سمي الصوفي »

هذه بعض ما يجب أن يعرف عن التصوف ومن ينتمون إليه حقا لا من يحترفونه ويشوهون جماله بما يأتون من خرافات وبدع يبرأ منها التصوف والتصوف منها براء.

أسأل الله أن يوفقنا لاتباع دينه والتأدب بآداب نبيه الكريم حتى يعود الناس إلى العمل بدينهم والتمسك بأحكامه القويمة.

عبد العزيز المصيلحي
شيخ الطريقة المصيلحية الخلوتية

* * *